

الباب الثالث

قصص الأنبياء مع أولادهم في القرآن

إن في القرآن كثيرا من قصص الأنبياء والصالحين والأمم الماضية. ومن تلك القصص الكثيرة توجد قصص الأنبياء مع أولادهم. منها قصة النبي آدم مع ابنه والنبي نوح مع ابنه والنبي إبراهيم مع بنيه والنبي يعقوب مع أبنائه والنبي شعيب مع ابنتيه والنبي داود مع ابنه سليمان والنبي زكرياء مع ابنه يحيى. ويمكننا أن نعتبر من تلك القصص عن شخصية الأب المثالي لأولاده. الأنبياء بالطبع، تكون لنا قدوة في كل أحوال لأنهم معصومون من كل ذنب وإثم ولم يزالوا في رعاية الله وإرشاده. وقصص الأنبياء مع أولاده التي ذكرت في القرآن منها ما يلي:

١. النبي آدم مع ابنه

أحد قصص الأنبياء مع أولادهم التي ذكرت في القرآن هي قصة النبي آدم مع ابنه

الَّذِينَ قَرَّبًا قَرَّبَانَا. ذلك كما في قوله تعالى في سورة المائدة الآية ٢٧-٣١:

وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَمَلَّ يَتَّقِبَلُ مِنَ
 الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا
 أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيْ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي
 وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ
 فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي
 سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُؤِيلَتِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ
 النَّادِمِينَ (٣١)

وسبب ذاك القربان أن حواء ولدت في كل حمل ذكرا وأنثى، إلا شيئا لأنه عوض

عن هابيل. وبعد ما كبر أولاده، جعل آدم يزوج ابنه بابنته التي ليست من توأمة^١ قابيل له

أخت جميلة إسمها إقليما ولهابيل أخت ليست كذلك إسمها لبودا.^٢ فلما أراد آدم أن يزوج

هابيل بأخت قابيل، فلم يوافقها بذلك وقال: أنا أحق بأختي. فأمره آدم فلم يأتمر وزجره فلم

ينزجر. ثم اتفقوا على التقريب.^٣

^١ محمد ابن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ٣ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠)، الطبعة

.٨٨، ٣

^٢ محمد ابن عمر نووي الجاوي، مراح لبيد، المجلد ١، ٢٦٢.

^٣ محمد ابن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ٣، ٨٨-٨٩.

اختلف العلماء في ذاك القربان، أكان من أمر الله أم لا. قال بعضهم أن ذاك القربان من أمر الله إياهما.^٤ وقال الآخرون أنه ليس من أمر الله، بل أمر آدم إياهما^٥ أو ما اتفقوا بينهم.^٦ واختلف العلماء أيضا في من الذين قربا. قال بعضهم أنهما ابنا آدم من صلبه، يعني قابيل وهابيل، وهما من أول أولاده.^٧ وهذا قول الجمهور من المفسرين، وقاله أيضا ابن عباس وابن عمر وغيرهما.^٨ وقال الآخرون أنهما ليسا ابني الصلب لآدم، بل كانا رجلين من بني إسرائيل. هذا قول ضعيف وخلاف الظاهر المتبادر.^٩ قال ابن عطية: إن هذا القول وهم لأنه إذا كانا رجلين من بني إسرائيل فكيف يجهل القاتل صورة الدفن حتى يقتدى بالغراب. والصحيح هو القول الأول أنهما ابنا آدم من صلبه.^{١٠}

^٤ محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، المجلد ٤ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩)، الطبعة ٥،

.٥٢٧

^٥ محمد بن عمر نووي الجاوي، مراح لبيد، المجلد ١، ٢٦٣.

^٦ محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ٣، ٨٩.

^٧ أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، المجلد ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦)، الطبعة ٢،

.٤١٩

^٨ محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ٣، ٨٨.

^٩ محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، الجزء ٦ (القاهرة: دار المنار، ١٣٦٦هـ)، الطبعة ٢، ٣٤١.

^{١٠} محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ٣، ٨٨.

وسوى ذلك، اختلفوا أيضا في سبب قبوله وعدم قبوله لقربانها. قال بعضهم أن

سبب قبوله لأنه قرّب خير ماله وعدم قبوله لأنه قرّب شر ماله.^{١١} وقال الآخرون أن سبب

قبوله لتقواه وإخلاصه وعدم قبوله لعدم التقوى والإخلاص.^{١٢}

حكى أن قابيل صاحب حرث وزرع وقرب شر ما عنده وأردأه غير طيبة به

نفسه، وأن هاويل صاحب غنم وقرب أكرم غنمه وأسمنها وأحسنها طيبة به نفسه. فخرجا

وصعدا الجبل مع أبيهما آدم. فلما وصلوا إليه وضعا قربانها ثم جلسوا ونظروا إلى ذلك

القربان. فبعث الله إليه نارا فأكلت قربان هاويل وتركت قربان قابيل.^{١٣} فحسد قابيل لقبول

قربان أخيه وعدم قبول قربانه. ثم أراد بقتله.^{١٤}

^{١١} محمد ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، المجلد ٤، ٥٢٧.

^{١٢} أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، المجلد ٢، ٤٢٠.

^{١٣} وهبة الزحيلي، التفسير المنير، المجلد ٣ (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٩)، الطبعة ١٠، ٥٠٤.

^{١٤} محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، المجلد ٥ (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،

١٩٩٧)، الطبعة ١، ٣٠٦.

وحكى في بعض القصص أن قاييل يجهل كيف يقتل أخاه. فمَثَّل له الشيطان بأن جاء بطير. فوضع رأس ذلك الطير على حجر ثم أخذ حجرا آخر فضرب به رأسه حتى قتله، فعلم قاييل منه القتل. ثم فعل ما فعل فحدث ما حدث.^{١٥} ذكر بعضهم أن قاييل بعدما قتل أخاه حملة على ظهره سنة، وقيل مائة سنة. ولم يزل كذلك حتى بعث الله إليه غرابين. فتقاتلا وقتل أحدهما الآخر. وبعدهما قتله عمد إلى الأرض يحفرها ثم ألقاه فيها ودفنه. فلما رآه قاييل فعل مثل ذلك.^{١٦}

روي لما فعل قاييل ما فعل، كان آدم في مكة. فتغيَّرت له الأطعمة وحمضت الفواكه وملحت المياه واغبرَّت الأرض. فقال آدم في نفسه: قد حدث في الأرض ما حدث. فرجع إلى الهند ولما جاء وعلم يقتل هايبيل، بقي آدم لم يضحك مائة سنة. وبعده قتل هايبيل بخمس سنين، ولدت حواء شيئا خلقًا منه.^{١٧}

^{١٥} مُجَّد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، المجلد ٥ (دون البيان: إدارة الكتب والمكتوبات، ١٩٩١)، ٣٠٧٢.

^{١٦} إسماعيل ابن كثير، قصص الأنبياء (المنصورة: دار الطباعة والنشر الإسلامية، ١٩٩٧)، الطبعة ٥، ٦٥.

^{١٧} مُجَّد ابن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ٣، ٩٢.

هذه الآيات الخمسة هي من الآيات المدنيّة.^{١٨} وذكرت قصة ابني آدم السابقة

وعصيان قبايل وإقدامه على قتل النفس التي حرّمها الله بعد ذكر تمرد بني إسرائيل وعصيانهم

لأمر الله. فاشتبهت القصتان من حيث التمرد والطغيان.^{١٩}

نعتبر من القصة الماضية أن من مواقف النبي آدم بابنيه أنه يقضي الأمور بينهم

بالمشاورة كما عندما أراد أن يزوّج هاييل بإقليميا ولم يوافق عليه قبايل. فيتكلّمون في ذلك

ويتشاورون، ثم اتفقوا على التقريب لتقرير من يستحق بها. وأنه يحبّ أولاده ويرحمهم

ويخاطر عليهم عند غيبهم عنه كما عندما يكون في مكة وأدرك أن شيئاً قد حدث فيهم،

فرجع على الفور إلى الهند. وبعدهما جاء إليهم وعلم بقتل هاييل، حزن عليه وبقي لم

يضحك لمدة مائة سنة.

٢. النبي نوح مع ابنه

قصة النبي نوح مع ابنه الذي لم يؤمن به ذكرت في سورة هود الآية ٤٢-٤٧. قال

الله تعالى:

^{١٨} عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ٢١.

^{١٩} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء ١ (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١٩)، ٢٨٦.

وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ لِيُخَبِّرَ أَرْكَبَ مَعَنَا
 وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ
 مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي
 مَاءَكَ وَيَسْمَأْ أَفْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ (٤٤) وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ
 الْحَكِمِينَ (٤٥) قَالَ يُنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَأْنِ مَا لَيْسَ لَكَ
 بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ
 لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧)

النبي نوح هو أول رسول بعثه الله تعالى إلى الأرض.^{٢٠} بعد أن دعا قومه إلى الله

ليلاً ونهاراً في مدة طويلة، أخبره الله تعالى أنه لم يبق منهم من يؤمن به وأوحى إليه بأن

يصنع الفلك، أي السفينة. فلما كملت السفينة واقترب الوعد، حمل فيها زوجين من جميع

الحيوان وجميع الشجر وأربعين رجلاً وأربعين امرأة الذين كانوا يؤمنون به من قومه.^{٢١}

^{٢٠} ذكر أن نوحاً أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض لأنه حينئذ قد كثرت المعاصي والجبابة فيهم ما لم يكن كذلك قبل، فبعث الله إليهم نوحاً ليدعوهم إليه. انظر محمد ابن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ٥ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠)، الطبعة ٣، ٣٠.

^{٢١} محمد ابن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ٥ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠)،

فلما جاء الوعد والنبي نوح والذين آمنوا معه قد ركبوا في السفينة دعا نوح ابنه الذي كان في مكان منعزل عن أبيه وقومه بأن يركب معه في السفينة بقوله "يٰٓأَيُّهَا اٰرْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكٰفِرِيْنَ" ^{٢٢}. وهذا الابن هو يام، أخو سام وحام ويافت. وقيل اسمه كنعان. وكان كافرا وخالف أباه في دينه. ^{٢٣} فأبى أن يركب معه وردّ عليه بقوله "سَآوِيْ اِلَى جَبَلٍ يَّعْصِمُنِيْ مِنَ الْمَآءِ"، ظن أنه سينجو إن آوى إلى جبل. ^{٢٤} وأجاب نوح بقوله "لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ اِلَّا مَنْ رَّحِمَ" أى لا عصمة اليوم من أمر الله وعذابه إلا لمن رحمه، فلم يبال به. ثم جاء الموج وحال بينه وبين ابنه فصار من المهلكين بالغرق. ^{٢٥}

ولما قضى الأمر، دعا نوح ربّه واشتكى إليه بابنه أنه من أهله وقد وعده ربّه بأن ينجي أهله من الغرق. ^{٢٦} ذلك لأنه يظن أن ابنه مؤمن، إذ يستحيل له أن يسأل هلاك الكفار ثم يسأل في إنجاء بعضهم. وكان ابنه يسرّ الكفر ويظهر الإيمان. فأخبره الله تعالى بما

^{٢٢} وهبة الزحيلي، التفسير المنير، المجلد ٦ (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٩)، الطبعة ١٠، ٣٨٩.

^{٢٣} إسماعيل ابن كثير، قصص الأنبياء، ١٠٧.

^{٢٤} محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، المجلد ١١ (دون البيان: إدارة الكتب والمكتوبات، ١٩٩١)،

^{٢٥} محمد ابن عمر نووي الجاوي، مراح لبيد، المجلد ١، ٥٠٨.

^{٢٦} محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، الجزء ١٢، ٨٣.

هو منفرد به من علم الغيوب أنه ليس من أهله الذي وعدهم بإنجائهم لأنه كان كافرا. وقال

الجمهور أن "إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ" بمعنى أنه ليس من أهل دينه.^{٢٧} فاعتذر نوح إليه تعالى

عما صدر عنه من أن يسأله أمرا لا يليق به سؤاله.^{٢٨}

هذه الآيات الستة هي من الآيات المكيّة.^{٢٩} وذكرت قصة النبي نوح السابقة

وعصيان ابنه وتكذيب قومه له بعد ذكر عناد الكافرين من أهل مكة وتكذيبهم لرسول الله

وإتهامهم له بافتراء القرآن تسليّة له بسرد قصص المرسلين وما جرى لهم مع أقوامهم ليتأسى

بهم في الصبر وتحمل الأذى.^{٣٠}

نعتبر من القصة الماضية أن من مواقف النبي نوح بابنه أنه يهتمّ بأمر دينه كما

عندما نادى ودعاه ليركب معه في السفينة ونهاه أن يكون مع الكفار. وأنه يحبّ ابنه ويرحمه

ويحزن عندما رآه يغرق مع الهالكين حتى اشتكى بذلك إلى الله تعالى.

^{٢٧} محمد ابن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ٥، ٣٢-٣٣.

^{٢٨} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء ٢ (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١٩)، ٥٢٢.

^{٢٩} محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ١١٤.

^{٣٠} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء ٢، ٥١٨-٥١٩.

٣. النبي إبراهيم مع بنيه

قصة النبي إبراهيم الذي أمر بذبح ابنه ذكرت في سورة الصافات الآية ١٠٠ -

١٠٧. قال الله تعالى:

رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ
السَّعْيَ قَالَ يُبَيِّئُ لِي أَنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا بَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ
سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ
يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ
الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧)

اختلف العلماء في ابن إبراهيم المأمور بذبحه الذي ذكر في هذه الآيات. قال

بعضهم أنه إسماعيل.^{٣١} وهو الأظهر كما قاله البيضاوي.^{٣٢} وقال الآخرون أنه إسحاق.^{٣٣}

^{٣١} محمد ابن عمر نوي الجاوي، مراح لبيد، المجلد ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٧)، الطبعة ٨،

.٣٠٥

^{٣٢} وهبة الزحيلي، التفسير المنير، المجلد ١٢، ١٣٠.

^{٣٣} محمد ابن يعقوب الفيروز آبادي، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠١)،

.٤٤٩

قال مجاهد: "فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ" يعني شبَّ وارتحل وأطاق ما يفعله أبوه من السعي

والعمل. ^{٣٤} قال الفراء: كان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة. ^{٣٥}

حكى أن إبراهيم لما بشر بغلام قال: إذن، هو لله ذبيح. فلما كبر، أتى إبراهيم في

منامه فقيل له: أوف بندرك الذي نذرت. ^{٣٦} قيل إن إبراهيم رأى في ليلة أن قائلًا يقول له:

إن الله يأمرك بذبح ابنك. فلما أصبح روى في نفسه أى فكر أهذا من الله أم من

الشیطان؟ لما كانت الليلة الثانية رأى ذلك أيضا، فلما أصبح عرف إبراهيم أن ذلك حق

من الله. ثم في الليلة الثالثة رأى مثله، فهم بنحره. ^{٣٧} فلهذا تسمى تلك الأيام الثلاثة بيوم

التروية وعرفة والنحر. ^{٣٨}

وبعد أن عرف إبراهيم أن ذاك الأمر حق من الله تعالى، شاور بابنه وسأله عن رأيه

في ذلك الأمر بقوله "يُبَيِّنْ لِي آرَى فِي الْمَنَامِ إِنِّي أَدْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى". قص عليه ذلك

^{٣٤} إسماعيل ابن كثير، قصص الأنبياء، ٢٠٢.

^{٣٥} محمد ابن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ٨، ٦٦.

^{٣٦} محمد ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، المجلد ١٠ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩)، الطبعة ٥،

^{٣٧} محمد ابن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ٨، ٦٨.

^{٣٨} وهبة الزحيلي، التفسير المنير، المجلد ١٢، ١٣٠.

وسأله عنه ليعلم إبراهيم ما عنده في ذلك الأمر.^{٣٩} فأجاب ابنه وقال: "يَأْتِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ". قال ذلك ولم يقل "اذبحني" إشارة إلى أن أباه مأمور بذلك وليس له إلا أن يَأْتَمِرَ به ويطيعه.^{٤٠} ولم يقل أيضا "افعل ما تريد" لأن طاعته لأبيه هنا لم يكن إلا طاعته لله وامتناله لأمره، فهو يدرك تماما أن ذلك الأمر حق من الله تعالى وإن جاء بشكل الرؤيا.^{٤١}

لما أسلما، أى أسلم إبراهيم ابنه وأسلم ابنه نفسه لله عزّ وجلّ، وكبّه وحول وجهه إلى القبلة لذبحه^{٤٢} ناداه من خلفه ملك من قبّله تعالى أن قد حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح وقد بان امتثالك للأمر وصبرك على القضاء.^{٤٣} فأنقذه الله من الذبح وجزاه بأن جعل مكان ذبحه بذبح كبش عظيم.^{٤٤}

^{٣٩} أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، المجلد ٨، ١٨٤.

^{٤٠} محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، المجلد ١٧ (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٧)، الطبعة ١، ١٥٣.

^{٤١} محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، المجلد ٢٠ (دون البيان: إدارة الكتب والمكتوبات، ١٩٩١)،

١٢٨٠٠.

^{٤٢} محمد ابن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ٨، ٦٩.

^{٤٣} أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، المجلد ٨، ١٨٥.

^{٤٤} محمد ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، المجلد ١٠، ٥١٠.

هذه الآيات الثمانية هي من الآيات المكيّة.^{٤٥} وذكرت قصة النبي إبراهيم مع ابنه

السابقة وما فيها من العظة والعبرة بعد ذكر ما أعدّه الله للأبرار في دار النعيم وما أعدّه

للأشرار في دار الجحيم.^{٤٦}

في الآيات الأخرى ذكرت قصة النبي إبراهيم الذي دعا لبنيه وأهليه وقومه بالخير

في أمور دينهم ودنياهم. ذلك كما في قوله تعالى في سورة إبراهيم الآية ٣٥-٤١:

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥)
 رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦)
 رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ
 أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا
 نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ
 الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ
 الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
 الْحِسَابُ (٤١)

^{٤٥} محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ١١٤.

^{٤٦} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء ٢، ١٠٣٠.

ذكر في تلك الآيات السابقة أن إبراهيم دعا ربه بعدما بنى البيت أن يجعل هذا

البلد، أى مكة، بلدا آمنا وأن يحفظه وبنيه عن عبادة الأصنام وأن يرزقهم من أنواع الثمرات

وأن يجعلهم من الذين يقيمون ويتمون الصلاة وأن يغفر لهم ذنوبهم يوم القيامة.^{٤٧}

هذه الآيات السبعة هي من الآيات المكيّة.^{٤٨} وذكرت قصة النبي إبراهيم السابقة

ومبالغته في هدم الشرك والأوثان بعد ذكر الدلائل الحسية والسمعية على انفراد الله تعالى

بالألوهية وأنه لا معبود بحق سواه.^{٤٩}

وكذلك في سورة البقرة الآية ١٢٤-١٢٩:

وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي
قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ
إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ
(١٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦)
وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧)
رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ

^{٤٧} محمد ابن يعقوب الفيروز آبادي، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ٢٦٠.

^{٤٨} محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ١١٤.

^{٤٩} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء ٢، ٥٩١.

التَّوَابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)

قال الله ﷻ لإبراهيم: "إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا" أى قدوة. فقال إبراهيم: "وَمِنْ

ذُرِّيَّتِي". هذا دعاء على جهة الرغبة إلى الله تعالى، أى ومن ذرِّيَّتي يا ربِّ فاجعل. قيل أنه

من جهة الإستفهام، أى ومن ذرِّيَّتي يا ربِّ فماذا يكون؟ قال ابن عباس: إن إبراهيم سأل

ربه أن يجعل في ذرِّيَّته إماما. فأخبره أن فيهم عاصيا وظالما لا يستحق الإمامة.^{٥٠}

ذكر في الآيات السابقة أن إبراهيم سأل الله أن يجعل بعض أولاده أئمة يقتدى بهم

في الدين. ودعا لذرِّيَّته وغيرهم أن يجعل الله مكة بلدا آمنا لهم وأن يرزقهم من ثمراتها. ودعا

هو وإسماعيل بعد أن يرفعا القواعد من البيت، أى الجدران التي هي من البيت، أن يقبل الله

بناءهما وأن يجعلهما وذرِّيَّتهما من المخلصين لعبادتهم وأن يعلمهم المناسك، أى سنن الحج،

وأن يتجاوز عن تقصيرهم وسيئاتهم وأن يجعل فيهم رسولا يعلمهم دينهم.^{٥١}

^{٥٠} محمد ابن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ١، ٧٣.

^{٥١} محمد ابن عمر نووي الجاوي، مراح لبيد، المجلد ١، ٤٤-٤٥.

هذه الآيات الستة هي من الآيات المدنيّة.^{٥٢} وذكرت قصة النبي إبراهيم السابقة

بعد ذكر نعم الله تعالى على بني إسرائيل وكيف كانوا يقابلون تلك النعم الكثيرة بالكفر

والعناد. وذلك لأنهم لو كانوا صادقين لوجب عليهم اتباع النبي محمد ﷺ لأنه من ولد

إسماعيل فكان أولى بالاتباع والتمسك بشريعته.^{٥٣}

سوى أن دعا لبنيه كما في الآيات السابقة، ولكنه وصّى لهم أيضا بأن يتمسكوا

على دين الإسلام حتى يموتوا. وتلك القصة ذكرت في سورة البقرة الآية ١٣٢:

وَوَصَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ بِرَبِّهِمْ وَيَقُولُوا إِنَّا لِلَّهِ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ (١٣٢)

وصّى بها، أى الملة الحنيفة، إبراهيم بنيه وكذلك وصّى يعقوب بنيه، أى قال ذلك

كل منهما لبنيه.^{٥٤} وبنو إبراهيم هم إسماعيل وأمه هاجر وإسحاق وأمه سارة ومدين

ومداين ونهشان وزمران ونشيق وشيوخ وأمهم قنطورا.^{٥٥} وصّى إبراهيم بنيه فقال: "بَنِيَّ إِنَّ

^{٥٢} عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ٢١.

^{٥٣} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء ١، ٧٨.

^{٥٤} محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، الجزء ١ (القاهرة: دار المنار، ١٣٦٦هـ)، الطبعة ٢، ٤٧٥.

^{٥٥} محمد ابن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ١، ٩٢.

اللَّهُ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" أى دين الإسلام، فاثبتوا عليه حتى

تموتوا مسلمين مخلصين له تعالى بالتوحيد والعبادة.^{٥٦}

هذه الآية هي من الآيات المدنية.^{٥٧} وذكرت قصة النبي إبراهيم الذي وصّى لبنيه

السابقة بعد ذكر مآثره وقصة بنائه للبيت توبيخا شديدا للمخالفين له من اليهود والنصرى

والمشركين وتأكيذا بأنه لا يرغب عن ملته إلا كل شقيّ سفيه الرأي.^{٥٨}

نعتبر من القصص الماضية أن من مواقف النبي إبراهيم بنيه أنه يقدم المشاورة بينهم

في أمورهم ويقبل آراءهم كما عندما شاور ابنه وسأله عن رأيه في أمر الله بذبحه. وأنه يحبّ

بنيه ويرحمهم و يدعو لهم في كثير من الأحيان. وأنه يهتمّ بأمور دينهم وينصحهم كما عندما

وصّى لهم بأن يتمسكوا بدين الله حتى أدركهم الموت.

^{٥٦} محمد ابن عمر نووي الجاوي، مراح لبيد، المجلد ١، ٤٧.

^{٥٧} عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ٢١.

^{٥٨} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء ١، ٨١.

٤ . النبي يعقوب مع أبناءه

قصة النبي يعقوب مع أبناءه ذكرت كثيرة في سورة يوسف. منها حين قصّ أحد

أبناءه، يعني يوسف، ما رآه في منامه إليه كما ذكر في سورة يوسف الآية ٤-٦:

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي
سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَبْنَئِي لَا تَقْضُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ
لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ (٦)

كان للنبي يعقوب من البنين اثنا عشر ذكرا وكان يوسف أشرفهم وأحبهم إلى

أبيهم وإليهم تنسب أسباط بني إسرائيل كلهم. وذهب جماعة من العلماء أنه لم يكن فيهم

نبي غير يوسف وباقي إخوته لم يوح إليهم شيء.^{٥٩} قال وهب: إن يوسف حين رأى بذلك

هو ابن اثني عشر سنين.^{٦٠} روي عن رسول الله ﷺ أن الكواكب التي رآها يوسف هي

^{٥٩} إسماعيل ابن كثير، قصص الأنبياء، ٢٩٥.

^{٦٠} محمد ابن عمر نووي الجاوي، مراح لبيد، المجلد ١، ٥٢٢.

الحريثان والطارق والذئبال وقابس والمصبح والضروح وذو الكنفات وذو القرع ووثاب

والعمودان. قال ابن عباس وقتادة: الكواكب إخوته والشمس أمه والقمر أبوه.^{٦١}

في تلك الآيات الثلاث السابقة بيان لما وقع في يوسف عند صغره وأبيه يعقوب.

بعد ما قصّ يوسف عليه ما رآه، عرف يعقوب أنه سيكون له شأن عند الله وعند الناس.

فهذا مبدأ لكل ما حدث له بعد من الوقائع المؤلمة.^{٦٢} فقال له أبوه: "يَبْنِي لَا تَقْصُصْ

رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا" أى لا تخبر إخوتك بهذا الرؤيا، فإن تخبرهم بذلك

فيحتالوا بك حيلة لا تقدر على ردها. قال أبو حيان: علم يعقوب من رؤيا يوسف أن الله

سيبلغه مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوّة وينعم عليه بشرف الدارين، فخاف عليه من

حسد إخوته فنهاه أن يقصّ رؤياه عليهم.^{٦٣}

ومنها حين أجمع أبناءه أن يلقوا أخاهم يوسف في الجبّ كما ذكر في الآية ١١ -

: ١٨

^{٦١} مُجَدِّ ابن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ٥، ٨١.

^{٦٢} مُجَدِّ رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، الجزء ١٢، ٢٥٣.

^{٦٣} مُجَدِّ علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء ٢، ٥٤٣.

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ (١١) أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غٰفِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخٰسِرُونَ (١٤) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجَاءَهُ أَبُوهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صٰدِقِينَ (١٧) وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨)

لما أجمعوا على التفريق بين أبيهم ويوسف جاءوا إليه وقالوا: "يَابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا

عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ" في حفظه حتى نردّه إليك. وقالوا: "أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ

وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ" من كل ما تخاف عليه. فقال لهم أبوهم: "إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا

بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غٰفِلُونَ". قال الكلبي: ذلك لأنه رأى في منامه أن

الذئب شدّ على يوسف، فخاف ذلك عليه. فأجابوا: "لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا

لَّخٰسِرُونَ". وبعد ما أذن لهم أبوهم أن يحملوا يوسف معهم، خرجوا معه. ونُقل أنهم حملوا

يوسف في أكتافهم ما دام يعقوب رآهم. فلما غابوا عنه طرحوه ليعدو معهم. ثم فعلوا ما

فعلوا به.^{٦٤}

وبعد ما فعلوا ذلك بيوسف، رجعوا إلى أبيهم ليلا وهم يبكون. روي أنه لما سمع

ببكاؤهم فرح وقال: ما لكم يا بني؟ وأين يوسف؟ فقالوا: "يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا

يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ". قالوا إنهم تركوا

يوسف عند متاعهم ليحفظه فجاء الذئب فافترسه. ثم جاءوا بقميص يوسف الذي لطحوه

بدم كاذب. قال ابن عباس: إنهم ذبحوا شاة ثم لطحوا قميصه بدمها.^{٦٥} فقال لهم أبوهم:

"بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ". فصبر يعقوب

على ما قالوا من هلاك يوسف ولم يصدقهم في قولهم.^{٦٦} قيل أنه لما لطحوا قميص يوسف

بدم، ذهلوا عن خرقه. فلما جاءوا به إلى أبيهم ورأى قميصه صحيحا، علم أبوهم أنهم

كاذبون في ذلك.^{٦٧}

^{٦٤} محمد ابن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ٥، ٩٢-٩٣.

^{٦٥} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء ٢، ٥٤٤-٥٤٥.

^{٦٦} محمد ابن يعقوب الفيروز آبادي، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ٢٣٧.

^{٦٧} محمد ابن عمر نووي الجاوي، مراح لبيد، المجلد ١، ٥٢٦.

ومنها حين سأل أبناءه أن يرسل معهم أخاهم بنيامين ليذهبوا معه إلى مصر كما

ذكر في الآية ٦٣-٦٧:

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَ نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ (٦٣) قَالَ هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ (٦٤) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَمِيزُ أَهْلِنَا وَمَحْفَظُ آخَانَ وَنَزَدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥) قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتِنَنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا اتَّوَهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦) وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧)

لما رجعوا من مصر قالوا لأبيهم: "يآبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَ نَكْتَلْ وَإِنَّا

لَهُ لَحَفِظُونَ"، لأنهم منعوا من الكيل إلا أن جاءوا معه، يعني بنيامين. فلا يؤمنهم به أبوهم

لما فرطوا في يوسف من قبل إلا أن يخلفوا بالله ليردونه إليه. فلما حلفوا به قال أبوهم: "اللَّهُ

عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ"، أي حافظ للحلف الذي حلفوا به.^{٦٨} ثم حين أرادوا أن يذهبوا إلى

^{٦٨} محمد ابن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ٥، ١٤٦-١٤٧.

مصر، نصحهم أبوهم أن لا يدخلوه من باب واحد لأنه خاف عليهم من عين الناس إذا

دخلوا مجتمعين، وأن يتوكلوا على الله ويفوضوا أمورهم إليه.^{٦٩}

ومنها حين جاء أبناءه من مصر بعدما فقدوا بنيامين كما ذكر في الآية ٨٠-

:٨٧

فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ
مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْتِيَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ
اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) إِرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا
إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَسئِلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا
وإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ
جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنُهُ
مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُنَا تَذَكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ
الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦) يُبَيِّنُ
أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا
الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧)

بعدما فقدوا بنيامين بمصر، أمرهم كبيرهم أن يرجعوا إلى أبيهم ويخبروه ما حدث

فيهم وهو يتخلف فيه ولم يرجع معهم إلى أبيهم لأنه يستحيي منه. فلما جاءوا إليه وأخبره

^{٦٩} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء ٢، ٥٥٧-٥٥٨.

الخبر قال لهم أبوهم: "بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِّرُوا جَمِيعًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ

جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ". قوله "عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا"، أى أنه يعلم أن يوسف

لم يمت وإنما غاب عنه خبره فقط. وقوله "بِهِمْ"، أى أنهم ثلاثة، يعني يوسف وبنيامين

والمتخلف في مصر. قال قتادة إن المتخلف هو روبييل. وقال مجاهد هو شمعون. وقال

الكلبي هو يهوذا.^{٧٠}

وبعدما بلغوا خبر بنيامين، أعرض يعقوب عنهم وخرج من بينهم وحزن وشد حزنه

حتى ابيضت عيناه، أى ضعف بصره من كثرة بكائه، وهو يمسك على حزنه ولا يظهره

عليهم. ثم بعد ذلك، غلب على ظنّ يعقوب بالملك الذي سمع عنه من بنيه أنه هو

يوسف. فأمرهم أن يذهبوا إلى مصر ويطلبوا أخبار يوسف وبنيامين ونصحهم أن لا يقنطوا

من رحمة الله وفضله.^{٧١}

ومنها حين جاء أبناءه من مصر بعدما وجدوا يوسف وبنيامين كما ذكر في الآية

: ٩٤-٩٨

^{٧٠} محمد ابن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ٥، ١٥٨-١٦٢.

^{٧١} محمد ابن عمر نووي الجاوي، مراح لبيد، المجلد ١، ٥٤٥.

وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩٤) قَالُوا
 تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ
 أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا
 خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨)

بعدهما وجدوا يوسف وبنيامين، خرجوا من مصر ورجعوا إلى أبيهم في الشام. لما

خرجوا منه، قال يعقوب لمن حوله من قرابته: "إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ".

فأجابوا: "تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ"، إنما قالوا ذلك لأن يوسف عندهم قد مات.^{٧٢}

فلما جاءوا إليه وطرحوا بقميص يوسف على عينيه، عاد بصيرا كما كان. فقال لهم أبوهم:

"أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"، أى من حياة يوسف. فقالوا له: "يَا أَبَانَا

اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ"، اعترفوا بخطيئاتهم وطلبوا أباهم أن يستغفر الله لهم لما فرط

منهم. فأجابهم أبوهم فقال: "سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ"، أنه وعدهم

بالإستغفار وأخر ذلك إلى وقت السحر ليكون أقرب إلى الإجابة.^{٧٣}

^{٧٢} محمد ابن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ٥، ١٧٠-١٧١.

^{٧٣} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء ٢، ٥٦٤.

هذه الآيات من سورة يوسف هي من الآيات المكيّة.^{٧٤} نزلت هذه السورة على

رسول الله ﷺ بعد سورة هود. روي أن اليهود سألوا رسول الله عن قصة يوسف وما حصل

له مع إخوته من أولاد يعقوب، فنزلت هذه السورة. وكذا جاءت قصة يوسف تسليّة

لرسول الله عما يلقاه من توالي الشدائد والنكبات عليه وعلى المؤمنين.^{٧٥}

وفي سورة أخرى، ذكرت قصة النبي يعقوب حين وصّى بنيه عند آخر حياته. وهي

في سورة البقرة الآية ١٣٢-١٣٣:

وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن
بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَالِاهُ أَبَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ
(١٣٣)

وصي يعقوب بنيه بالملة كما وصي إبراهيم بنيه بها من قبل فقال: "يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ

اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ" أي اختار لكم دين الإسلام فحافظوا

^{٧٤} محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ١١٤.

^{٧٥} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء ٢، ٥٤٠-٥٤٢.

عليه ولا تتركوه ولو لحظة واحدة لأن لا تموتوا فيها فتموتوا غير مسلمين.^{٧٦} وتلك الوصية لم

تكن أمرا من عند يعقوب ولا من عند إبراهيم، ولكن كانت أمرا من عند الله اختاره للناس.

فلم يجد يعقوب ولا إبراهيم أن يوصى بنيهما إلا بما اختاره الله ﷻ.^{٧٧}

ولما احتضر يعقوب بالموت قال لبيه: "مَا تَعْبُدُونَ مِنِّي بَعْدِي"، أى أي شيء

تعبدون بعد موتي؟ فأجابوا: "نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ

لَهُ مُسْلِمُونَ"، أى نعبد إلهك الله الواحد الذي دلت الأدلة على وجوده ووحدانيته ولا

نشرك به سواه وهو إله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ونحن منقادون له وخاضعون

لحكمه.^{٧٨} في قولهم "إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ" إطلاق لفظ الأب على

الجد والعم والوالد وفيه دفع لإمكان الإبهام بأن تكون لهم آلهة كثيرة.^{٧٩}

^{٧٦} محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، الجزء ١، ٤٧٥.

^{٧٧} محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، المجلد ١، ٥٩٧.

^{٧٨} وهبة الزحيلي، التفسير المنير، المجلد ١ (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٩)، الطبعة ١٠، ٣٥٠.

^{٧٩} محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، المجلد ١، ٣٠١.

هاتان الآيتان هما من الآيات المدنيّة.^{٨٠} وذكرت قصة النبي يعقوب الذي وصّى

لبنيه السابقة بعد ذكر مآثر إبراهيم وقصة بنائه للبيت تويخا شديدا للمخالفين له من

اليهود والنصرى والمشركين كما فيما سبق في قصة النبي إبراهيم.^{٨١}

نعتبر من القصص الماضية أن من مواقف النبي يعقوب بأبنائه أنه يحبهم ويرحمهم

ويتجنّب الخلافات بينه وبينهم ويصبر عليهم كما عندما نهي يوسف أن يقصّ رؤياه على

إخوته لأن لا يكون بينهم خلاف. وكما عندما فرّق أبناءه بينه وبين يوسف وحين فقدوا

بنيامين بمصر، قابل النبي يعقوب ذلك بالصبر وعدم إطالة الخلاف معهم. وأنه يخاطر على

أبناءه عند غيبتهم عنه كما عندما يخاطر حين ذهب أبناءه مع يوسف ليلعب معهم وحين

أخذوا بنيامين ليذهب معهم إلى مصر. وأنه ينصح أبناءه كثيرا ويهتمّ بأمور دينهم كما

عندما وصّى لهم بأن يتمسّكوا بدين الله وكذا عندما سألهم عما يعبدونه من بعد موته في

آخر حياته.

^{٨٠} عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ٢١.

^{٨١} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء ١، ٨١.

٥. النبي شعيب مع ابنتيه

ذكرت قصة النبي شعيب مع ابنتيه في سورة القصص الآية ٢٣-٢٨. قال الله

تعالى:

وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْتَفُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودِنِ قَالَ مَا حَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمْنِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ فَضَيِّتُ فَلَا عُذْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨)

بعد ما قتل موسى أحدا من القبط وهو طباح فرعون، جاء رجل مؤمن من آل

فرعون يخفي إيمانه عنه فأخبره أن فرعون يريد أن يقتله. فخرج موسى من تلك المدينة خائفا

واجته نحو مدين وهو يتربص لحوق الطالبين.^{٨٢}

^{٨٢} أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، المجلد ٧ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦)، الطبعة ٢،

لما وصل موسى إلى مدين وورد ماءها، وجد جماعة من الرعاء يسقون نعمهم.
 ووجد في مكان أسفل من مكانهم امرأتين تمنعان غنمهما أن ترد على غنم هؤلاء. فلما
 رآهما موسى رقّ لهما فقال: ما خبركما لم لا تردان الماء مع هؤلاء القوم؟ فأجابتا: لا نسقي
 إلا بعد فراغ هؤلاء من السقي، وأبونا شيخ كبير لا يستطيع السقي بنفسه. فسقى موسى
 لهما غنمهما ثم انصرف إلى شجرة ليستريح في ظلّها.^{٨٣}

المرأتان اللتان سقى لهما موسى هما ابنتا النبي شعيب. اسم إحداهما ليا والأخرى
 صفوريا. بعد ما سقى لهما موسى، رجعتا إلى أبيهما سريعتين وكانت عادتهما الإبطاء في
 السقي. فحدثناه بما كان من الرجل الذي سقى لهما. فأمر الكبرى من ابنتيه، وقيل
 الصغرى، أن تدعوه له.^{٨٤} فجاءت إحدى المرأتين إلى موسى وهي يستر وجهها بيدها
 فقالت: "إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا". ثم ذهب موسى معها إلى أبيها،

^{٨٣} إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء ٦ (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩)،
 الطبعة ٢، ٢٢٦-٢٢٧.

^{٨٤} محمد ابن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ٧ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠)،
 الطبعة ٣، ١٧٩.

شعيب. فلما جاء إليه وقص عليه قصصه، قال له شعيب: "لَا تَخَفْ نَجُوتَ مِنَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ"، يعني فرعون وقومه لأنه لا سلطان له بأرض مدين.^{٨٥}

ثم قالت إحدى المرأتين لأبيها: يا أبت استأجره ليرعى عليك ماشيتك، فإن خير

من استأجرت للرعى هو القويّ على حفظ الماشية والقيام عليها في صلاحها وإصلاحها.

وبعدما قالت ذلك له، فقال لموسى: "إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ

تَأْجُرْنِي ثَمْنِي حَجَجٍ فَإِنْ أَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسُقَّ عَلَيْكَ سَعْدِي إِنْ شَاءَ

اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ". فقبل ذلك موسى وأجاب بقوله "ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ

فَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ".^{٨٦}

هذه الآيات الستة هي من الآيات المكيّة.^{٨٧} وذكرت قصة النبي شعيب مع ابنتيه

السابقة في الآيات التي تتحدث عن قصة النبي موسى من قتله أحدا من القبط وهجرته إلى

^{٨٥} محمد ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، المجلد ١٠، ٥٨-٥٩.

^{٨٦} أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، المجلد ٧، ١٦٤-١٦٥.

^{٨٧} محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ١١٤.

أرض مدين وتزوجه بإحدى ابنتي شعيب. وتلك القصة ذكرت بعد ذكر قصة ولادته وتربيته في بيت فرعون إلى أن شبّ وبلغ سن الرشد.^{٨٨}

نعتبر من القصة الماضية أن مواقف النبي شعيب بابنتيه أنه يستمع إليهما ويقبل رأيهما كما عندما اقترحت عليه إحدى ابنتيه أن يستأجر موسى ليرعى ماشيته فقبل رأيها وزوج موسى بإحدهما بمهر أن يرعى له ماشيته بضع سنين.

٦. النبي داود مع ابنه سليمان

ذكرت قصة النبي داود مع ابنه سليمان في القرآن حين يحكمان في أمر الحرث في

سورة الأنبياء الآية ٧٨-٨٢. قال الله تعالى:

وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بِأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ (٨١) وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يُعْوِضُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (٨٢)

^{٨٨} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء ٢، ٨٧٣.

اختلف العلماء في ذلك الحرث، ما هو؟ قال بعضهم: هو النبت. وقال الآخرون:
بل هو الكرم الذي قد أنبت عناقيده.^{٨٩} قال مسروق: إنما كان الحرث كرماً، نفشت فيه
الغنم فلم تدع ورقة ولا عنقوداً من عنب إلا أكلته.^{٩٠} روي أن رجلين دخلا على داود،
أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم. فقال صاحب الحرث: إن هذا الرجل أرسل
غنمه في حرثي فلم تبق منه شيئاً. فقال داود: اذهب فإن الغنم كلها لك. وبعد ما خرجا
من عنده، مرّ صاحب الغنم بسليمان فأخبره بالذي قضى به داود. فدخل سليمان على
داود فقال: يا نبي الله، إن القضاء سوى الذي قضيت. فقال داود: كيف؟ قال سليمان:
ادفع الغنم إلى صاحب الحرث فيكون له منافعها من درّها وأولادها وأشعارها، وادفع الحرث
إلى صاحب الغنم ليقوم عليه حتى يعود كما كان. ثم يتراذان فيأخذ صاحب الحرث حرثه
وصاحب الغنم غنمه. فقال داود: القضاء ما قضيت. فأمضى الحكم بذلك.^{٩١}

^{٨٩} محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، المجلد ٩ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩)، الطبعة ٥،

.٤٩

^{٩٠} إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء ٥ (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩)،

الطبعة ٢، ٣٥٥.

^{٩١} أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، المجلد ٦ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦)، الطبعة ٢،

.١٨٩

ووجه الرأى عند داود وسليمان، أن داود قدر الضرر في الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم، فسلم الغنم للمجني عليه. وأما سليمان، فقدّر منافع الغنم بمنافع الحرث فحكم بها. وكان حكمهما بالإجتهد دون الوحي، إذ لو كان بالوحي ما أمكن تغييره.^{٩٢} فضل حكم سليمان حكم داود في أنه أحرز أن يبقى كل واحد منهما على متاعه. قيل: كان داود وسليمان يقضيان بما يوحى إليهما. فحكم داود بوحي وحكم سليمان بوحي نسخ الله به حكم داود. هذا قول جماعة من العلماء، منهم ابن فرك. وقول الجمهور أن حكمهما باجتهد كما سبق.^{٩٣}

ثم ذكر الله نِعْمًا التي أنعمها علي داود وسليمان. أنعم الله على داود بأن سخر له الجبال والطير يسبحن معه إذا سبح وعلمه صنعة لبوس. واللبوس عند العرب هو السلاح كله، درعا كان أو جوشنا أو سيفًا أو رمحا. أما في هذا الموضع فإن أهل التأويل قالوا: هو الدروع.^{٩٤} وأنعم الله على سليمان بأن سخر له الريح التي تجري بأمره وسخر له من

^{٩٢} أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، المجلد ٦، ١٨٩.

^{٩٣} محمد ابن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ٦ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠)،

الطبعة ٣، ٢٠٣-٢٠٤.

^{٩٤} محمد ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، المجلد ٩، ٥٣.

الشياطين الذين يغوصون له في البحار فيستخرجون منها اللؤلؤ والمرجان ويعملون له من

بناء المحاريب والتمائيل والقصور والجفان وغيرها.^{٩٥}

هذه الآيات الخمسة هي من الآيات المكيّة.^{٩٦} وذكرت قصة النبي داود مع ابنه

سليمان السابقة وغيرها من قصص الأنبياء وما نال كثيرا منهم من الإبتلاء بعد ذكر

الدلائل على التوحيد والنبوة والمعاد تسليّة لرسول الله ﷺ ليتأسى بهم في الصبر واحتمال

الأذى في سبيل الله وتوطينا لنفسه على مجاهدة المشركين.^{٩٧}

وقصة النبي داود مع النبي سليمان ذكرت أيضا في سورة النمل الآية ١٥-١٦.

قال الله عزّ وجلّ:

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ
الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْثِقْنَا مِنْكُمْ
شَيْئًا إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦)

^{٩٥} أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، المجلد ٦، ١٩٠.

^{٩٦} محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ١١٤.

^{٩٧} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء ٢، ٧٣٢.

أعطى الله داود وسليمان علما لائقا بهما من علم الحكم والسياسة وغيرهما وأعطى

لداود علم صنعة لبوس ولسليمان علم سائر نطق الطير والدواب. فقال داود وسليمان:

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ" شكرا لله على ما أعطاهما من العلم

ما لم يعط غيرهما.^{٩٨}

كان لداود تسعة عشر ولدا فورث سليمان من بينهم نبوته وملكه. قال ابن

عطية: داود هو من بني إسرائيل وكان ملكا فورث سليمان ملكه ومنزلته من النبوة بمعنى

صار إليه ذلك بعد موت أبيه. وقال سليمان: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتِينَا مِنْ

كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ". قال ذلك لبني إسرائيل على جهة الشكر لنعم الله

وفضله عليه بما ورثه من داود من العلم والنبوة والخلافة في الأرض.^{٩٩} روي أن سليمان

أُعطى ملكه وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. وأما داود فقد

عاش مائة سنة.^{١٠٠}

^{٩٨} محمد ابن عمر نووي الجاوي، مراح لبيد، المجلد ٢، ١٦٧.

^{٩٩} محمد ابن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ٧، ١١٠-١١١.

^{١٠٠} محمد ابن عمر نووي الجاوي، مراح لبيد، المجلد ٢، ١٦٧.

هاتان الآيتان من سورة النمل هما من الآيات المكيّة. ^{١٠١} ذكرت في هذه السورة

قصة النبي داود مع ابنه سليمان وما أنعم عليهما من النعم الجليلة بالتفصيل وغيرها من

قصص الأنبياء وما نال أقوامهم من العذاب والنكال بالإجمال. ^{١٠٢}

نعتبر من القصص الماضية أن من مواقف النبي داود بابنه سليمان أنه يستمع إليه

ويقبل رأيه كما عندما يقدم سليمان ما رآه في المشكلة التي حدثت بين صاحب الحرث

وصاحب الغنم فقبل داود رأيه وقضى الأمر بذلك.

٧. النبي زكرياء مع ابنه يحيى

قصة النبي زكرياء مع النبي يحيى في القرآن ذكرت في سورة مريم الآية ٢-١٥. قال

الله تعالى:

ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَّمَا أَكُنُ بِدُعَايِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرِنُّنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يُزَكِّرُنَا إِنَّا بُنِشْرُكَ بِعُلْمِ اسْمِهِ بِحَيْثُ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ إِنِّي

^{١٠١} محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ١١٤.

^{١٠٢} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء ٢، ٨٤٧.

يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَحَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١) لِيُحْيِيَ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأْتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَرَبًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥)

النبي زكرياء، يجوز بالمد "زكرياء" أو بالقصر "زكريا" هما قراءتان مشهورتان، كان

نبيا عظيما من أنبياء بني إسرائيل. وهو من ولد سليمان ابن داود وكان نجارا.^{١٠٣} دعا النبي

زكرياء ربه دعاء خفيا مستورا عن أعين الناس، لأن ذلك أدل على الإخلاص وأبعد عن

الرياء وأقرب إلى الخلاص من لائمة الناس على طلب الولد وقت الكبر والشيخوخة. فقال:

"رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا، وَإِنِّي خِفْتُ

الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ

وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا". أورد النبي زكرياء قبل سؤاله أمورا ثلاثة وكل منها يستحق الرحمة

^{١٠٣} إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء ٥، ٢١١.

والشقيقة وهي ضعفه ظاهرا وباطنا وأنه ما زُدَّ دعاءه قط بل كلما دعا استجيب له وأن في

إجابة دعاءه منفعة دينية.^{١٠٤}

سأل النبي زكرياء ربّه أن يعطيه من واسع فضله ولدا من صلبه وأن يجعله برا تقيا

مرضيا عنده وعند الناس، يحبه ويحبونه لدينه وحُلقه وشيمه. فاستجاب ربّه دعاءه وقال:

"زَكْرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلْمٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا". فقال زكرياء تعجبا لما سمع: "رَبِّ

أَتَى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا"، أي من أي وجه يكون

لي ذلك وامرأتي عاقرة لا تحبل وقد ضعفتُ من الكبر. فأجاب ربّه بأن ذلك هين عليه.

فسأله زكرياء أن يجعل له آية تدلّه على تحقق المسئول في زمان معيّن. فأجابه إلى ما طلب

فقال: "إِنَّكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا". ثم خرج النبي زكرياء إلى قومه من المحراب

ممتنع اللون منطلق اللسان بذكر الله منحسب عن كلامهم. فقالوا: ما لك يا نبي الله؟ فأوما

إليهم لأن يسبحوا الله وينزهوه عن الشريك والولد وعن كل نقص بكرة وعشيا. وكان النبي

^{١٠٤} أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، المجلد ٦، ٢٩-٣٠.

زكرياء قد أخبر قومه بما بشر به من قبل. فلما تعذّر عليه الكلام، علم بحصول سؤاله.

فأشار إليهم بذلك فسروا به.^{١٠٥}

ثم بعد ذلك، وُلد لزكرياء يحيى. فلما ولد، قال الله تعالى له: "يَّحْيِي خُذِ الْكِتَابَ

بِقُوَّةٍ"، أى بجدّ، يعنى كتاب الله الذي أنزل على موسى وهو التورة. أعطاه الله الفهم لكتاب

الله في حال صباه قبل بلوغه أسنان الرجال. روي أن الصبيان قالوا له: اذهب بنا نلعب!

فقال لهم: ما للعب خُلقت.^{١٠٦} فعل الله ذلك، أى ما سبق في يحيى، رحمةً منه بأبويه

وعظفا عليه وتركية له من حصال ذميمة. وسوى ذلك، جعله الله عبدا صالحا متقيا لله ولم

يهمّ بمعصية قط، برا لوالديه ومحسنا إليهما ولم يكن متكبرا عاصيا لرّبّه وعليه سلام في يوم

ولادته ويوم موته ويوم بيعث من قبره.^{١٠٧}

^{١٠٥} أحمد مصطفى المراغى، تفسير المراغى، المجلد ٦، ٣٠-٣٣.

^{١٠٦} محمد ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، المجلد ٨ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩)، الطبعة ٥،

^{١٠٧} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء ٢، ٦٨٧.

هذه الآيات من سورة مريم هي من الآيات المكية.^{١٠٨} ذكرت في هذه السورة

قصص كثيرة مبتدئة بقصة النبي زكرياء مع ابنه يحيى ثم قصة مريم العذراء ثم قصة النبي إبراهيم مع أبيه وغيرها من الأنبياء.^{١٠٩}

وقصة النبي زكرياء الذي دعا ربه كما سبق ذكرت أيضا في سورة آل عمران الآية

: ٤١-٣٨

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ
(٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ
مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ آتِنِي ذُرِّيَّتًا طَيِّبَةً وَأَلِيقًا لِّي
أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٤١)

بعد ما رأى زكرياء ما في مريم، كان إذا دخل عليه يجد عندها فاكهة الشتاء في

الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء فقال لها: يا مريم أني لك هذا؟ فقالت: هو من عند

الله، فطمع في الولد وقال في نفسه: إن الذي يأتيها بهذا قادر على أن يرزقني ولدا. ومن

ذلك دعا زكرياء ربه فقال: "رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ"، أى

^{١٠٨} محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ١١٤.

^{١٠٩} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء ٢، ٦٨٤.

أعطني من عندك ذرّيةً سالحةً مباركة.^{١١٠} فناداه جبريل وهو قائم يصلي في الموضع العالى في المسجد بأن الله يبشّره بولد يسمى يحيى. فقال زكرياء لجبريل: من أين يكون لي ولد وقد أدركني كبر السن وامرأتي عقيم لا تلد؟ قال ابن عباس: كان زكرياء حين بشّر بالولد هو ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته، اسمها إيشاع، هي بنت تسعين وثمان سنة. فأجاب جبريل بأن الله يفعل ما يشاء وإن كان ذلك خارقاً للعادة. ثم سأل زكرياء أن يجعل له علامة في حبل امرأته. فقال الله له: "أَيْتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا"، أى علامتك في حبل امرأتك أن لا تقدر على كلام الناس إلا بالرمز، يعني الإشارة. وقال: "وَأَذْكُرُ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحُ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ"، أى اذكر ربك ذكراً كثيراً بالقلب واللسان في مدة الحبسة عن الكلام شكراً لله على تلك النعمة وصلّ غدواً وعشيا كما كان.^{١١١}

^{١١٠}مُحَمَّدُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيِّ، تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ، المجلد ٢، ٤٦-٤٧.

^{١١١}مُحَمَّدُ ابْنُ عَمْرِو نَوَوِي الْجَاوِي، مَرَاحُ لَيْبِيدٍ، المجلد ١، ١٢٤.

هذه الآيات الأربعة هي من الآيات المدنيّة.^{١١٢} وذكرت قصة النبي زكرياء مع ابنه

يحيى السابقة وغيرها من قصة مريم وعيسى التي كلها من خوارق العادة بعد ذكر البيان لعلو

درجات الرسل ومناصبهم عند الله ﷻ.^{١١٣}

وكذا في سورة الأنبياء الآية ٨٩-٩٠:

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
وَوَهَبْنَا لَهُ يُحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا
لَنَا لِحْشِينَ (٩٠)

طلب زكرياء أن يهبه الله ولدا يكون من بعده نبيا. فقال خفية: "رَبِّ لَا تَذَرْنِي

فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ". فأجاب الله سؤاله ووهب له يحيى وأصلح له زوجه بأن أزال عنها

الموانع التي تمنعها من الحمل والولادة. فحملت يحيى وولدت بعد أن تكون عقيما.^{١١٤}

^{١١٢} عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ٢١.

^{١١٣} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء ١، ١٦٨.

^{١١٤} أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، المجلد ٦، ١٩٥-١٩٦.

والسبب في إجابة دعائه لأنه لم يزل يبادر إلى الطاعات ويعبد ربّه رغبة في رحمته وخوفاً من عذابه وكان خاشعاً متواضعاً في عباداته.^{١١٥}

هاتان الآيتان هما من الآيات المكيّة.^{١١٦} ذكرت قصة النبي زكرياء السابقة وكذا قصة النبي عيسى والنبي يونس وما لهم من المحنة بعد ذكر قصص بعض الأنبياء جملةً وما نال كثيراً منهم من البلاء. وذكر كل ذلك بقصد التسلية لرسول الله ﷺ ليتأسى بهم في صبرهم وبلائهم.^{١١٧}

نعتبر من القصص الماضية أن من مواقف النبي زكرياء بابنه يحيى أنه يدعو له حتى قبل أن يولد له كما عندما يدعو أن يعطيه الله ولداً صالحاً يرث نبوّته فأجاب به ووهب له يحيى وأصلح له وزوجه وأزال عنها موانع الحبل حتى حملت به وولدت.

^{١١٥} محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ٣٢٩.

^{١١٦} محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ١١٤.

^{١١٧} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء ٢، ٧٣٧.